

التفسير المختصر - سورة هود (١١) - الدرس (١-٦) : تفسير الآية ٢٧ ، رحمة الله
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٤-١٠-٠٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:
أيها الأخوة الكرام:

في سورة هود، القصة الأولى، قصة سيدنا هود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام:

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا

بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧)﴾

أنظر أيها الأخ الكريم إلى مقياس أهل الدنيا، معنى كلمة أَرَادُوا، أي فقرائنا، الآن كلمة أَرَادُوا لها معنى آخر، لكن الرذيل في أصل اللغة هو الفقير، مقياس البشر البعدين عن الله عز وجل بمقاييس مادية، وقد أشار إلى هذا الإمام علي كرم الله وجهه، فقال في آخر الزمان قيمة المرء متاعه.

مكانتك من موقع بيتك، من مساحة بيتك، من أثاث بيتك من مركبتك من دخلك، من حجمك المالي، ولو كان أسقط الناس والفقير لا يعبئ به أحد ولو كان أكرم الناس.

هذا من علامات آخر الزمان، من علامات تخلف المجتمعات أن يقيم المرء بالمقاييس المادية فقط، ويبدو أن هذا شأن الكافر في كل زمان.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا

بَادِيَ الرَّأْيِ﴾

يعني التفكير المحدود، نحن متعمقون، نحن أصحاب فلسفات عميقة نحن أصحاب ثقافات عريقة، نحن أهل المجد، نحن عليّة القوم، من هؤلاء الذين اتبعوك ؟ هم فقراء من عامة الناس، من سوفقتهم.

﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧)﴾

اسمعوا الجواب، قال يا قوم، هذا الجواب من الآيات النادرة قال:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾

أنا أعرف لماذا خلقت، ولماذا أنا في الدنيا، وماذا بعد الموت، وما الجنة، وما النار، والله سبحانه وتعالى، أسمائه الحسنی، صفاته الفضلی، أنبياءه، رسله، معي دليل، دليل عقلي ودليل نقلي، ودليل فطري، ودليل واقعي والأمور واضحة تماماً كالشمس، إنني أرى الحقيقة كما أراكم.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾

بعد أنني اهتديت.

﴿وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ﴾

أنا من السعداء، سعيد بمعرفة الله، سعيد بالإقبال عليه، سعيد بالتوكل عليه، سعيد بالتفويض له، سعيد بالعمل له سعيد بالإخلاص له، سعيد بالإجابة إليه، قلبي يأتيه من الله التجليات.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾

إذا واحد ما ذاق العسل في حياته، لو أقسم بالله أيماً مغلظة أن أطيّب شيء أكله هو الدبس هو صادق، لكن العسل ما ذاقه بعد، هذا العسل عميّ عليه ما رآه.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾

أنا معي أدلة، أنا معي رؤية صحيحة، معي فهم عميق، معي تصور دقيق، معي عقيدة صحيحة، أنا أعرف أين كنت، ولماذا أنا هنا، وماذا بعد الموت، أنا لي منهج أسير عليه، أنا عندي منظومة قيم عندي مجموعة أوامر عندي منهج، عندي دستور.

﴿إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾

هذا الجانب الفكري.

﴿وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾

أنا سعيد جداً، سعيد بالتوحيد، سعيد بفضل الله، سعيد بمعرفته، سعيد بالإقبال عليه، سعيد بالتوكل عليه، سعيد بالإجابة له.

﴿وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَا كُتُوبَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾

أيام الإنسان بلاقي محل صغير متر، بمتراً، وقديم متداعي متهاك، قد يكون غلته باليوم مائة ألف، بس هذا يلي نظر للمحل، بشكله المتواضع، وحجمه الصغير، ما نظر للغلة اليومية تبعه، ليش قاعد في فلان، شو علق في، إذا بتعرف الغلة تبعه بتلرز أنت فيه، تقريباً من باب التقريب. المؤمن موصول بالله، المؤمن مقبل عليه، المؤمن مطمئن برحمته، مطمئن لعدالته، ما عنده تشردم، ما عنده تبعثر، ما عنده ضياع، ما عنده خوف، ما عنده قلق، ما عنده نفاق، ما عنده تملك هي أمراض الكفار كلها بريء منها، القلق، القهر، هذا كله خالص منه هو، هي رحمة من الله.

﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾

صادق، لا تأخذه في الله لومة لائم، ما عنده استعداد أن يتكلم خلاف الحقيقة ولو بتقرمه، على الله رزقي، الله هو خلقني وكرمني، والله عز وجل ما كلفني أن أكذب، من أجل الرزق، بتلاقي الطرف الثاني عما يكذب ويحلف أيماً، ويتمسح بالأغنياء ويتضعض أمامهم، يتذلل، ويتمسكن مقهور، مرفوض، شاق بشاق حياته، لأن القاعدة:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤)﴾

(سورة طه: ١٢٤)

إذا الآية هذه لا تنطبق على أي إنسان في الأرض، يكون هذا الكلام ليس كلام الله عز وجل، قال لك:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤)﴾

إذا بتلاقي واحد سعيد في البعد عن الله، يكون هذا الكلام ليس كلام الله، إله عما يتكلم.
 طيب في واحد سئل قال: ما بال الأغنياء والملوك، عندهم كل شيء، ما عنده مشكلة بحياتهم،
 فأجاب المفسرون ضيق القلب المعيشة الضنك للغني ضيق القلب، بفلك متضايق، مائل، راح أطلع
 من جلدي، قرفة كل شيء، معك مئات الملايين، ضيق القلب ما في سعادة.
 أيام شخص ببيت صغير مع زوجة وأولاد الله يتجل عليه بتلاقي أسعد الناس على زيتونه وكأس
 شاي أسعد الناس.

فربنا عز وجل إذا تجلى على إنسان، بالرحمة، يسعد بها ولو فقد كل شيء، وإذا حرمه من رحمته،
 يشقى بالدنيا ولو ملك كل شيء لو ملك كل شيء يشقى بالدنيا، و لو حرم كل شيء يسعد بالدنيا،
 برحمة الله.
 قال:

﴿: أَنْزَلْنَاكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾

هذه الرحمة التي عميت عليكم، ما تيجي بإلزام، ولا بإكراه، هذه تطلب ولا تعطى، كيف يعني،
 تأخذ ولا تعطى يختاره الإنسان ولا يلزم بها، لقوله تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾

(سورة البقرة: ٢٥٦)

كلام دقيق.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا
 بِآدِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظَنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى
 بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَايَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَاكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (٢٨)﴾

فذلك من هو السعيد الذي كشف رحمة الله، وممكن يعيش بين أناس لا يعرفونها، ينكرون عليه،
 بقلك أنجذب، مو شايف شي من الدنيا، إلا الله الله ومن بيته للجامع، ما شفت الملاهي، ما شفت
 الحفلات المخملية مثلاً، ما شفت السهرات الجميلة، لم نعرف شو الله أعطى من رحمة.

لذلك المؤمن أسعد الناس، والله أقول لكم، إذا ما قلت بكل جوارحك بكل خلايا جسمك، بكل
 قطرات دمك، أنا أسعد الناس بكون بالإيمان في شك

إذاً الإيمان مسعد، أنت مع الله، ولو كنت فقيراً، أنت مع الله ولو كنت مريضاً، لأن ربنا عز
 وجل إذا أعطى أدهش، إذا أعطاك من رحمته تجلى عليك، شعرت أنك إنسان آخر.

فالسعادة بمقياسها المادية سخيفة جداً، مملّة، لكن السعادة برحمة الله لا توصف.

لذلك قال يوم القيامة المؤمن، يسمح له أن يرى وجه الله عز وجل فيغيب خمسين ألف عام من
 نشوة النظرة.

فيا أيها الأخوة الكرام، علينا برحمة الله، الله عز وجل قال:

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)﴾

(سورة الزخرف: ٣٢)

إذا معه ثلاثة آلاف مليون، ثم جاءه ملك الموت ! وليس له عمل صالح، هذا فقير ضعوا في أذهانكم هذه الكلمة لسيدنا علي رضي الله عنه: **الغنى والفقر - متى ؟ - قال بعد العرض على الله.**

الآن لا يسمى الغني غنياً ولا الفقير فقيراً، الغنى والفقر بعد العرض على الله بعد الموت والحساب، من دخل الجنة فهو الغني ومن دخل النار. فهو الفقير بقلك عرس كلف عشرين مليون بالشيراتون فرقة راقص بخمسين ألف دولار جاءت من هولندا، والزهور من المكان الفلاني، الألبسة، وإذا كان يعني، هذا كلام لا قيمة له إطلاقاً ليست هذه رحمة الله، وهي على الأسكي قال لها طالق طالق، طالق قد ما انضغط.

لأن الكفار، البعيدين عن الله، إذا أمسكوا المال، أمسكوا بخلاً وتقطيراً، وإذا أنفقوه، أنفقوه إسرافاً وتبذيراً، بتلاقي زواج واحد كلف عشرين مليون، وعشرين ألف شاب يكفي مائتين ألف يزوجوا فيهن، لا ينفقوا. لذلك هدفنا رحمة الله.

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)﴾

رحمة الله بهداها صلاة بدها استقامة، بدها عمل صالح، بدها بذل، بدها إنفاق.

﴿إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْلَزْتُكُمْوَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا

كَارِهُونَ(٢٨)﴾

والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم.

والحمد لله رب العالمين